تاريخ اليمن السياسي
في العصر العباسي الأول

صالح خلف الحمارنه

هذه الدراسة هي حول الوضع السياسي في البلاد اليمنية في العصر العباسي الأول، وتقف عند تأسيس أول دولة مستقلّة عن الخلافة قامت باليمن ٢٠٤ هجري ٨١٩م، ونعني دولة بني زياد.

كما هو معلوم بلاد اليمن ذات طبيعة جغرافية صعبة - نجود وتهائم - فمنذ ظهور الإسلام وقيام دولة الخلفاء الراشدين، كان اليمن مقسّما إلى مخاليف، أي إلى أقطار واسعة موزعة بين القبائل المختلفة، وحكام عديدين، وفي حالة استقلال ذاتي يذكرنا بالأذواء والأقيال السابقين على الإسلام.

بعد اليمن عن مركز الخلافة ووعورة طرقه كان من بين أهم الأسباب التي حالت بين الخلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن بقصد توحيد السلطة فيه، فأصبحت تلقائيا بعيدة عن مجرى الأحداث، فالمتتبع لتاريخ العرب المسلمين منذ قيام دولتهم في صدر الإسلام، يرى بوضوح أن البلاد اليمنية نفسها قد استنفذت بسبب "الهجرة" وان دور القبائل اليمنية كان خارج ارض اليمن، هذا الدور الكبير والمهم في الفتوحات الإسلامية، وترسيخ دولة الإسلام ونشره، ثم تشييد الأمصار وإقامتها، والتي أصبحت من المراكز الرئيسة في دولة الخلافة، كل ذلك يفسّر سرّ المشاركة المتواضعة للبلد وللأرض اليمنية نفسها في صدر الإسلام مقارنة بأهمية وفعالية اليمانية كجماعات وأفراد في حياة العرب المسلمين (بروكلمان: ٨١؛ سيد ١٩٧٤: ٨١).

بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هجري، اضطربت الدولة الأموية وازداد نشاط حركات المقاومة لحكم بني أميّة في مختلف الأمصار ومن مختلف الفئات، خوارج وعلويين وعباسيين، انتهت بالتالي بنهاية الدولة الأموية. ونشير هنا إلى واحدة من هذه الأحداث التي وقعت باليمن موضع دراسة هذه الورقة، ونعني نشاط عبد الله بن يحي - طالب الحق - في حضرموت واليمن.

يذكر الطبري في حوادث سنة ١٢٨ هجري

"في هذه السنة لقي أبو حمزة الخارجي عبدالله بن يحيى طالب الحق، فدعاه إلى مذهبه" (الطبري: ٣٠٢).

ويشرح الطبري الخبر فيقول

"كان أول أمر أبي حمزة، وهو المختار بن عوف الأزدي السّليميّ من البصرة، أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد والي خلاف آل مروان. قال: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبدالله بن يحيى في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة. فقال له: يا رجل، اسمع كلاما حسنا، واراك تدعو إلى حق، فأنطلق معي، فاني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان" (الطبري: ٣٠٢؛ خيّاط: ٥٨٩)

وكان عبد الله بن يحيى مجتهدا عابدا وحسن السيرة ورأيه من رأي الخوارج الاباضية. ورأى في اليمن جورا وعسفا شديدا، فأتى صنعاء سنة ١٢٩ للهجرة وأقام أشهرا وكثر جمعه، واستولى على اليمن. ثم أن الخليفة مروان بن محمد أرسل جيشا من أهل الشام بقيادة عبد الملك بن محمد القيسي، فهزم الخوارج وقتل طالب الحق عبد الله بن يحيى (الطبري: ٣١٧-٣١٨؛ عطوان: ٥٠٢ و٥٠٤).

وما حركة أبي حمزة الخارجي في حضرموت واليمن إلا واحدة في سلسلة حركات الخوارج التي كانت تعم بلدان الخلافة، فقبيل حركة أبي حمزة هذا، كان الخوارج قد وصلوا إلى أوج نجاحهم في حركة الضحّاك بن قيس الشّيباني عام ١٢٦ للهجرة، الذي تعاظمت حركته فاستولى على الكوفة وبسط نفوذه على العراق وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين حتى انظم إليه رجالات من بني أمية، أبرزهم كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الأمويين على العراق، وكذلك الوالي قبله منصور بن جمهور زعيم بني كلب، وذاعت مقولة الشاعر شيبيل بن عزرة الضبعي

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل (الطبري: ٢٨٩).

لم تقتصر حركات المقاومة أواخر الحكم الأموي على الخوارج بل كان هناك حركات مقاومة أخرى مهمة من أبرزها حركة الحارث بن سريج الذي بدأ حركته عام ١١٦ للهجرة في خراسان وفي بلاد ما وراء النهر، واستمر في حركته حتى عام ١٢٨ للهجرة/٧٤٥م، وقد رفع شعار "العمل بكتاب الله وسنة رسوله" وأنه صاحب الرايات السود، وكان متوجها بدعوته بشكل خاص إلى المسلمين من غير العرب، وكانت "المرجئة" المرجع الفكري لهذه الحركة، التي شارك بفاعلية فيها جعد بن درهم شيخ المرجئة نفسه (الطبري: ١٥٤). ناهيك عن الحركات العلوية التي لم تنقطع تقريبا طوال فترة الخلافة الأموية، أما ما يهمنا منها ونحن نكتب في تاريخ اليمن، فهي حركة زيد بن علي بن الحسين، الذي نهض في الكوفة وفيها قتل أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ للهجرة. وقد دعا زيد بن علي الناس

إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإقفال المجمر، كما دعا المسلمين إلى نصر أهل بيت رسول الله، ومن بعده خرج ولده يحيى في خراسان وقتل أيضا أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ للهجرة (الطبري: ٢٠٤-٢٠٥ و٢٣٢)، لقد جئنا على ذكر حركة زيد بن علي - والتي وقعت زمن الأمويين - لأهميتها البالغة جدا في تاريخ اليمن، حيث أن الشيعة الزيدية قد نجحوا لاحقا في إقامة دولة لهم في اليمن ومركزهم كان في صعدة، وذلك على يد الأمام الهادي إلى الحق عام ٢٨٤ للهجرة، وكانت هذه الدولة أطول الدول الإسلامية عمرا حيث استمرت تحكم في اليمن أكثر من ألف سنة (سيد ١٩٧٤: ٨٢).

أما الذي نجح في القضاء على الدولة الأموية، فكانت الثورة العباسية، لقد اتخذت الدعوة العباسية الحميمة في الشراة مركزا لها، ومن مرو في خراسان منطلقا للثورة سنة ١٢٩ للهجرة، وكان انتصارها الحاسم في معركة الزاب الأعلى سنة ١٣٢ للهجرة، هذه المعركة التي خسرها آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد وقد قتل بعد ذلك (اليعقوبي: ٣٣٨؛ الدوري ١٩٨٨: ٩).

مع قيام الدولة العباسية تدخل البلاد اليمنية في نطاق البلدان التي شملتها الخلافة العباسية فيرسل الخليفة أبو العباس عمر بن عبد الحميد بن عبد الله بن زيد بن الخطاب عاملا على اليمن، وان هذا العامل قد بوّب جامع صنعاء إذ لم يكن له باب من قبل (محمود ١٩٦٩: ٩٨٠؛ الخزرجي). ثم أن الخليفة أبا العباس أخذ يرسل من أبناء خواله من بني حارثة اليمانية عمّالا على اليمن لاطمئنانه إليهم، وليكونوا بمثابة جسر مودة بينه وبين اليمانية، فأرسل محمد بن يزيدي بن عبد المدان الحارثي، ثم خلفه عبد الله بن مالك الحارثي، وتبعه علي بن الربيع بن عبد الله الحارثي. وأحب هنا أن أشير إلى نقطة هامة، أنه أثناء ولاية الأمير علي بن الربيع على اليمن ١٣٤ - ١٤٠ هـ (زامباور: ١٧٦) وصلتنا كتابة على لوح مثبت في مئذنة جامع صنعاء تشير بوضوح إلى أن الخليفة ابي العباس كان يلقب بالمهدي، لا السفّاح وهذا تصحيح لما هو شائع في سيرته.

واثبت النص هنا - نقلا عن بحث قيّم لعبد العزيز الدوري - بعنوان الفكرة المهدية (الدوري ١٩٨١: ١٢٣)

"بسم الله الرحمن الرحيم/لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون/أمر المهدي عبدالله عبدالله /أمير المؤمنين أكرمه الله بإصلاح المساجد وعمارتها/على يد الأمير علي بن الربيع/أصلحه الله في سنة ست وثلاثين ومائة عظم/الله اجر المهدي و تقبل عمله".

هذه الوثيقة تشير بوضوح أن أبا العباس، أول خلفاء العباسيين قد اتخذ لقب المهدي قبل أن يتخذه ثالثهم محمد بن عبدالله ١٥٨-١٦٩هـ /٧٧٥-٧٨٥م، بتدبير من والده المنصور. هذا وقد عززت هذا الأمر المصادر أيضا، فقد جاء في كتاب أخبار العباس ما يلي: "أن محمد بن علي قال لبكير بن ماهان، مشيرا لولده عبدالله بن الحارثية-هذا المجلّي عن بني هاشم القائم المهدي".

وبعد علي بن الربيع يتولى على اليمن عبدالله بن الربيع الحارثي، الذي امتدت ولايته حتى أيام المنصور الذي يعزله ليخلفه معن بن زائدة الشيباني.

فقد وردت على المنصور الأخبار من اليمن بأن الأهالي قد طردوا واليهم عبدالله بن الربيع وثار الخوارج في البلاد (الازردي: ١٧٥). عندها يولي المنصور معن بن زائدة أميرا على اليمن، فقد ارتاب الخليفة في حلف تم ما بين اليمانية وربيعة، رأى فيه خطرا مباشرا يهدد أمن الخلافة (خياط: ٤٦١). ورأى بأن يلقي على معن بن زائدة مهمة كسر هذا الحلف.

ويفصل اليعقوبي الخبر كما يلي

"في هذه السنة (١٤٢هـ) خرج أبو جعفر إلى البصرة يريد الحج، فلما صار بالجسر الكبير، أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد اظهروا المعصية، وأن عبد الله بن الربيع عامل اليمن قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم. فوجه بمعن بن زائدة الشيباني إلى اليمن. وانصرف أبو جعفر، ولم يحج، وقدم معن بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلا فاحشا، وأقام تسع سنين" (اليعقوبي: ٣٧٢).

سار معن إلى اليمن في عسكر من قومه، وبصحبته عدد من أبنائه الناشئين وابن أخيه يزيد بن مزيد، وللحال أعمل السيف في المخاليف "وأحرب مدينة معافر، وقتل من أهلها نحوا من ألفين، كما قتل عبدالله بن يحيى الحضرمي، وخمسة عشر ألفا معه بحضرموت، والبس السواد لأهل اليمن" (محمود ١٩٦٩: ٩٨). لا ندري كم هي دقيقة هذه الأرقام في عدد القتلى، ولا مدى بعد المبالغات في المعلومات التي تذكرها المصادر، لكن لا شك بأن مهمة معن في اليمن كانت صعبة وقاسية، ذلك أن قبائل اليمن قوية الشكيمة وأنها منحرفة في هواها عن بني العباس.

ترى لماذا وقع اختيار أبي جعفر على معن بن زائدة وهو إلى وقت قريب كان مستترا عنه، فهو خصمه وطلبته؟ وثم كيف نفسر خطاب التكليف الذي وجهه أبو جعفر لمعن بن زائدة ، حيث يقول مخاطبا معنا

"قد وليتك اليمن، فابسط السيف فيهم، حتى ينقض حلف ربيعة واليمن! قال معن : أبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين"

فولاه اليمن وتوجه إليها فبسط السيف فيهم حتى أسرف (الأصفهاني: ٤١)، كما وأعطى عطايا لم يعط مثلها أحد (البلاذري: ٢٣٧؛ بن يحيى ١٩٧٨). لماذا معن بالذات؟ ولكي نجيب على هذا السؤال، دعنا نعود للوراء قليلا ونتحدث عن الرجل، فمعن من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ومن الرجال البارزين في كل من الدولتين. فكان بجانب آخر عمّال بني أمية على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، يحارب معه العباسيين عند حصارهم له في واسط، يذكر أبن قتيبة

"يطول الحصار، ويمتد شهورا ويثقل عليهم، فأرسل أبو العباس أخاه أبا جعفر للإشراف على الحصار الذي طال، ودعا ابن هبيرة اليمانية الذين كانوا في واسط للتضامن معه، ولكن أبا جعفر انتبه للخطر ولخوفه من أن يثور اليمانية مع أبن هبيرة كتب إليهم قائلا: "السلطان سلطانكم والدولة دولتكم" (إبن قتيبه: ٢٤١).

فينحاز زياد بن صالح الحارثي كبير اليمانية - أبو الصواعق - وعامل ابن هبيرة على الكوفة (البلاذري: ١٣٨) مع أصحابه إلى دعوة المنصور، مما اضطر أبن هبيرة لقبول الصلح وكتب له كتاب أمان له ولمن معه، ولكن العهد لم يحفظ وقتل ابن هبيرة رغم تردد أبي جعفر الذي كان من رأيه الوفاء له والاحتفاظ بابن هبيرة (الطبري: ٣٦٠-٣٦٢).

لقد كان معنا منحازا لدولة بني أمية لأنه يرى أنها تمثله - كما تمثل بقية رجالات وزعماء العهد الأموي من أمثال ابن هبيرة ونصر بن سيّار - فكانوا جميعا يعتبرون الدعوة العباسية خراسانية وانتصارها كسب للموالي والفرس في خلافة أبي جعفر حدثت واقعة "يوم الهاشمية" الذي أصبح يوما حاسما في علاقة أبي جعفر بمعن بن زائدة الشيباني، جاء في كتاب الكامل لأبن الاثير: "وفي هذه السنة -١٤١هـ- كان خروج الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم يقولون بتناسخ الأرواح وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، فأخذ المنصور رؤوسهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقصدوا نحو المنصور فخرج لهم من القصر ماشيا، وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه. وجاء معن بن زائدة وكان مستترا من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه، فلم يزل يقاتل حتى تكشف الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور: من أنت؟ قال: طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة، فقال آمنك الله مثلك يصطنع" (ابن الأثير: ١٢٩) - الهاشمية نسبة إلى هاشمية الكوفة حيث كان ينزل المنصور قبل بنائه بغداد، بعدها يتولى معن على اليمن واليا تسع سنين ثم كتب المنصور إليه: "سنة ١٥١ هـ أن يقدم، فاستخلف أبنه زائدة على اليمن، وقدم على أبي جعفر وكان معن قد أسّن، فقال له أبو جعفر: كبرت سنك يا معن! قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين! قال: وانك لتتجلد، قال: على أعدائك، قال: وان فيك لبقية، قال: هي لك". من هذه القصص الطريفة، نتلمس أن الخليفة المنصور أصبح غير مطمئن لاستمرار معن أكثر في إمارته على اليمن خوفا من تثبيت أقدامه وهو الأمير الشجاع والقائد المجرب الطموح فقد تحدثه نفسه في الانفصال والخلع. ومن جهة أخرى كانت الأوضاع في بلد آخر بعيد عن مركز الخلافة مضطربة منذ زمن بعيد، وهذا البلد هو سجستان. فرأى المنصور أن يرسل قائده المجرب معن بن زائدة واليا عليه، فذهب معن إلى سجستان وأتخذ من مدينة بيست مركزا له. وجاء عن الطبري "ودخلت سنة اثنين وخمسين ومائه وفيها قتل الخوارج معن بن زائده الشيباني ببست سجستان"، وقيل أن قاتله بالتحديد هو هلال بن المفضل الطائي من بني فطرة وكان معن قد قتل أخاه في اليمن فتبعه حتى سجستان فقتله ثأرا لأخيه، وقال شاعرهم "ونحن قتلنا خير بكر بن وائل" (اليعقوبي: ٣٨٤-٣٨٥؛ الطبري: ٥٠٣؛ الأزدي: ١٧٧)

يبدو أن المنصور قد ارتاح لتولية يزيد بن منصور - خال ولده محمد المهدي - أميرا على اليمن الذي بقي واليا حتى بعد وفاة المنصور ذلك أن المهدي قد أقرّه واليا على اليمن حتى وفاة يزيد بن منصور نفسه (الخزرجي: ٨٣). ثم جاء الغطريف - خال الرشيد - أميرا على اليمن، الذي واجه فتنة ثائرة بين أهل جند وصنعاء واستطاع بكثير من الصبر أن يصلح بينهم (الخزرجي: ٨٦).

مع تولي هارون الرشيد الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ) تبرز في اليمن ثلاثة أمور بشكل واضح

١. كثرة الولاة الذين يرسلون لتولّي الإمارة في اليمن الواحد تلو الآخر، فيذكر كتاب "اليمن في عهد الولاة" أن الرشيد أرسل أكثر من ١٢ واليا عليها (الخزرجي: ٨٦-٨٨)، وهذا دليل واضح على استمرار الاضطراب في اليمن. وان الأهالي بمختلف قبائلهم ومخاليفهم لم يخلدوا للسكينة والرضوخ.
٢. كثيرا ما يكون الوالي على اليمن واليا في الوقت نفسه في مكّة، فمثلا أرسل الرشيد محمدا بن إبراهيم الهاشمي واليا على اليمن وجمع له الحجاز، كذلك فإن عامله حمّاد البربري قد جمع بين مكّة واليمن عام ١٨٤ هـ (القلقشندي: ٢٦٧).
٣. أخذت ثورات الخوارج بالتصعيد من جديد، صحيح أن نشاط الخوارج قد قلّ عما كان عليه أيام الأمويين، وان شوكتهم في العهد العباسي لم تكن كشوكتهم وقوتهم في العهد الأموي، ومع ذلك فقد حاربوا العباسيين بقوة وصلابة وجلد، يشبه ذلك الذي كان لهم في العصر الأموي.

فالخوارج نظروا أيضا إلى بني العباس كنظرهم إلى خلفاء بني أميّة، كلهم لا يصلح للخلافة، ولم يختر الخليفة منهم اختيارا حرّا صريحا، ولم يستوف الشروط التي يجب توافرها في الأمام، وكلهم يجب الخروج عليه (أمين).

ففي أيام السفاح تحرك خوارج عمان والجزيرة، وكذلك اشتعلت ثورة الوليد بن طريف - الشاري - في الجزيرة الفراتية أيام الرشيد، والذي يهمنا أنه في أيام الرشيد أيضا ثار الخوارج في اليمن بزعامة الهيصم، فبعث الرشيد مولاه حمّادا البربري وقال له: أسمعني أصوات أهل اليمن (الخزرجي: ٩٠). وجاء عند اليعقوبي تفاصيل عن حركة الهيصم ثم كيفية القضاء عليه نثبتها فيما يلي: "ووثب الهيصم بن عبد المجيد الهمذاني باليمن سنة ١٧٩هـ، وغلب عليها، فكان معقله بجبل له مسور، وكان معه عمر بن أبي خالد الحميّري مقيما بعشتان، وكان معه الصّباح بناحية يقال لها حراز، فلقوا حمّادا البربرّي وكانت بينهما وقائع قتل فيها نيّف وعشرون ألفا من الناس، وأسر حمّاد عمر بن أبي خالد، فوجه به إلى الرشيد، واتصلت الحرب بينه وبين الهيصم تسع سنين. ثم صار إلى حمّاد رجل من أهل البلد فأعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته، وصار إلى قرية من القرى متنكرا يتجسس الأخبار، فوّجه معه إلى تلك القرية بقائد فأخذ الهيصم، فقال الهيصم: والله ان القتل لشيء ما انكره، وما خلقت الرجال الا للموت والقتل. فحمله حمّاد على جمل وأدخله صنعاء، ثم وجه به إلى الرشيد فدعا بالهيصم فأمر بضرب عنقه" (اليعقوبي: ٤١٢).

وأقام حمّاد البربري أميرا على اليمن ثلاث عشرة سنة، سام أهلها سؤ العذاب (اليعقوبي: ٤١٣) حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الخراج المعتاد وزيادة. ومع ذلك نقرأ في كتاب اليمن في عهد الولاة "وعمرت اليمن في أيامه

وخاصة صنعاء وأمنت السبل حتى كانت القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلتان في كل مخلاة ستة أمداد تمر فتباع بأرخص الأثمان، وأخصب اليمن في أيامه خصبا لم يعهد مثله ورخصت الأسعار" (الخزرجي: ٩٠-٩١). وكان حمّاد عبدا لهارون فأعتقه في أول خلافته، ثم عزل الرشيد حمّادا واستعمل مكانه عبدالله بن مالك، فلم يزل في البلد محمود السيرة جميل المذهب حتى توفي هارون (اليعقوبي: ٤١٣).

جاء في كتاب "اليمن في عهد الولاة"

"أن الرشيد أرسل في وقت سابق بمحمد بن برمك واليا على اليمن فأقام بها حتى جرّ إليهم النهر المعروف بالبرمكي، و يعطي الخزرجي صورة براقة تشيد بأعمال هذا البرمكي حيث يقول: وكان ابن برمك من أحسن الولاة القادمين على اليمن عدلا ورفقا وحسن سيرة ، وكان كثير الصدقة في جميع أحواله، وكثير التفقد لأحوال الرعية محبا ومشفقا عليهم" - لا ندري ربما ما قيل عن ابن برمك يدخل ضمن مبالغات الكتاب في سيرة آل برمك (الخزرجي: ٩٠).

أما في زمن المأمون فتتميز الحالة السياسية في اليمن بالنهوض العلوي الذي شمل البلاد اليمنية. فحين ثارت الفتنة ما بين الأخوين الأمين والمأمون، ودارت الحرب بينهما وقتل الأمين عام ١٩٨هـ، عندها اندلعت حركات العلويين من جديد وبشكل لم يعرف من قبل منتهزين الخلاف الذي وقع في البيت العباسي (المسعودي)[1] . والفوضى الشاملة التي عمت ارض الخلافة، وحيث أن مسألة الخلافة بنظر العلويين لم تسو بعد بينهم وبين بني عمومتهم، لذا سارع العلويين لانتهاز هذه الفرصة للعمل على تنحية العباسيين عن كرسي الخلافة التي فازوا بها دونهم.

ومن الملاحظ أن حركات العلويين هذه قد شملت الأقاليم العربية من أقطار الخلافة كالعراق والحجاز واليمن. وان أخطر هذه الحركات كانت حركة العلوي محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا وكان القائد المحرك لثورة أبي السرايا الشيباني سنة ١٩٩هـ، وقد شملت بلاد اليمن، حيث جاءها إبراهيم بن موسى الكاظم واليا عليها من قبل ابن طباطبا، الذي توفي قبل وصول إبراهيم بن موسى إليها سنة ٢٠٠هـ [2] .

لقد شجع العلويين على نشاطهم في اليمن أمران الأول اعتقاد حسن في حب آل البيت ناتج عن دخول الإمام علي (رضي الله عنه) إلى اليمن، وخاصة في وسط قبائل همدان (سيد ١٩٨٨: ٥٢)، والثاني هو بعد اليمن وتطرفها عن مركز الخلافة.

فكانت حركة إبراهيم بن موسى الكاظم هي الأبرز لنشاط العلويين في اليمن "ولما آلت الخلافة إلى المأمون، وظهرت دعاة الطالبين بالنواحي ظهر إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مئتين ولم يتم أمره وكان يعرف بالجّزار لسفكه الدماء" (عمارة: ١٣٤). استطاع إبراهيم بن موسى أن يسيطر على اليمن بسهولة، ذلك أن واليها العباسي اسحق بن موسى الهاشمي أخلى صنعاء مع جنده، حتى قبيل وصول إبراهيم إليها فقد بمجرد سماعه اقتراب الثوار العلويين (عمر ١٩٩٦: ٢٤٤)، وهكذا بسط إبراهيم بن موسى سيطرته على إقليم اليمن لأكثر من سنة رغم انحسار سيطرة العلويين في كل من العراق والحجاز. يذكر اليعقوبي "ووجه - الحسن بن سهل - حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان إلى اليمن، وإبراهيم بن موسى بن جعفر العلويّ متغلب بها، فحاربه إبراهيم بمن معه من اليمن، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين، فخرج إبراهيم بن موسى مندحرا من اليمن يريد مكة فدخلها وغلب عليها" (اليعقوبي: ٤٤٨).

وحدث في أثناء ذلك أن بايع المأمون لعلي الرضى ابن موسى بولاية العهد، وإبراهيم بن موسى مقيم في مكة فسارع إبراهيم فبايع للمأمون ولولي عهده وبايع الناس ولبسوا الأخضر (اليعقوبي: ٤٤٩)، وفي هذه السنة - ٢٠٢هـ - حج بالناس إبراهيم بن موسى، فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد (الطبري: ١٤٥).

فكتب المأمون إلى إبراهيم بن موسى بولاية اليمن، فخرج من مكة وصار إلى صنعاء وأمر المأمون عيسى الجالودي بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه بن علي بن ماهان فحمدويه كان قد خلع المأمون (اليعقوبي: ٤٤٨-٤٤٩). ولكن الجالودي ماطل وتعذر ولم ينشط لمساعدة إبراهيم بن موسى، فخسر إبراهيم ولم يرده شيء دون مكة (وبالتالي يخرج لمرو عند المأمون) عندئذ يعلن حمدويه بن علي استقلاله عن السلطة المركزية استياء من سياسة المأمون الموالية للعلويين شأنه في هذا شأن أهل بغداد.

فوجه المأمون بعيسى بن يزيد الجالودي عاملا على اليمن، فنفذ الجالودي إلى اليمن، وزحف إليه حمدويه، وشبت الحرب بينهما وانهزم حمدويه فلاذ ببيت في مدينة صنعاء فأتبعه الجالودي حتى صار إلى الدار التي كان ينزلها، فأخذه الجالودي وهو في ثوب جارية من جواريه، فقال له: سؤة لك، قائد وأبن قائد يقاتل خليفة ويفرّ من الموت هذا الفرار، قد آمنك الله على دمك حتى تصير إلى أمير المؤمنين، فيحكم فيك برأيه، وأشخصه إلى المأمون (اليعقوبي: ٤٥٥).

تتوالى الأحداث بسرعة، فبعد بيعة المأمون لعلي الرضى بولاية يشتد ذلك على بني العباس جدا، وخرجوا وبايعوا إبراهيم بن المهدي، ولقب - المبارك - فجهز المأمون لقتاله وسار المأمون نحو العراق (السيوطي: ٣٠٧) ولكي يمهد لدخول مقبول لدار السلام، أخذ وبطريقته الخاصة يزيل كل العقبات. ففي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين في حمام غيلة، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان، وذلك في دار المأمون في مسيره إلى العراق (المسعودي: ٣٤٧)، ثم قضى علي بن موسى لعنب أكله وأكثر منه، وقيل أنه كان مسموما وذلك سنة ثلاث ومائتين، والمأمون بطريقه إلى بغداد

---

١. لقد ذكر المسعودي أنه "في سنة مائتين أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم، فكانوا ثلاثة وثلاثين الفا".

٢. المؤلف مجهول والمصدر بعنوان العيون والحدائق ج٣، تحقيق دي خويه ليدن ١٨٦٩: ص٣٤٧.

(المسعودي).

وفي الوقت نفسه – والمأمون متوجه لبغداد – أتاه أيضا كتاب من عامله على اليمن بخروج الأشاعرة وعك وهم أجل عرب تهامه، وكان المأمون قد أتى بقوم من ولد زياد بن أبيه وقوم من ولد هشام وفيهم رجل من تغلب يقال له محمد بن هارون، وكانوا أكثر من مئة رجل – وقد أضافهم المأمون إلى الحسن بن سهل (الحموي: ١٣٢).

وجاء في كتاب "تاريخ اليمن"

لما وفد وجوه اليمن على المأمون، وكان فيهم محمد بن زياد، من ولد عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان، فأستعطف المأمون، وضمن له حياطة اليمن من العلويين. فوصله وولاه اليمن، وقدّمها سنة ثلاث ومئتين وفتح تهامه اليمن، وهو البلد الذي على ساحل البحر الغربي واختط فيها مدينة زبيد، ونزلها واختارها كرسيًا لتلك المملكة (عمارة: ١٣٤).

ولعل المأمون باختياره محمد بن زياد أميرا على اليمن، أراد أن يرمي العلويين بخصم لهم من بني أمية ليضع حدا لنفوذهم. حيث أن حركة إبراهيم بن موسى قد تبعها فيما بعد حركات واضطرابات شتى في أنحاء البلاد اليمنية قام بها علويين جاءت على ذكرها المصادر العربية الإسلامية، ومنها كتاب الكامل لأبن الأثير، نذكر واحدة منها على سبيل المثال، أقربها لقيام دولة بني زياد

"في هذه السنة (٢٠٧هـ)، خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ببلاد عك في اليمن، يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص). وكان سبب خروجه أن العمال باليمن أساؤوا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا" (ابن الأثير: ٤٦٨).

يؤكد عمارة أن محمدا بن زياد قد استولى على اليمن أجمع، ودخلت في طاعته أعمال حضرموت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التابعة (عمارة: ١٣٤).

وحين اختط محمد بن زياد مدينة زبيد سنة ٢٠٤هـ، فقد راعى في ذلك الناحيتين العسكرية والمدنية، حتى أصبحت زبيد من أهم المدن اليمانية عمرانا وثقافة (الحضرمي ٢٠٠٠؛ العميد ١٩٧٠).

ويصف مدينة زبيد الجغرافي المقدسي من القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد "بأنها بغداد اليمن، فهي بلد جليل ونفيس، حسن البيان ومستقر ملوك اليمن وقصبة تهامه، وبها نجار كبار وعلماء وأدباء، بلد مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه" (المقدسي).

ان قيام الدولة الزيادية (٢٠٤-٤٠٩هـ /٨١٩-١٠١٨م) هو تتويج للذات اليمنية، هذه الذات التي كانت تسعى طوال الفترات السابقة للظهور والتميز. وقد فهم المأمون هذا التميز، كما فهمه قبله أبوه الرشيد بالنسبة لدولة الأدارسة ودولة الأغالبة، فأن المأمون فعل الشيء نفسه بالنسبة لدولة بني زياد وبعدهم لدولة بني طاهر. كما وان قيام دولة بني زياد كانت فاتحة للدول المستقلة اللاحقة، التي قامت على امتداد البلاد اليمنية، والتي جميعها جاءت بصورة أو بأخرى تجسيدا للذات اليمنية، وتمثيلا للمجتمع اليمني ذو الأطياف المتعددة في مخاليفه المختلفة جغرافيا، مذهبيا، عقائديا وقبائليا، لقد كان جهاد أهل اليمن جهادا اجتماعيا واعيا، كما كان جهادا دينيا ضد حكم جائر. هذا وتزامن قيام دولة بني زياد كأول دولة مستقلة في اليمن زمن المأمون الذي مع نهاية خلافته (٢١٨هـ/٨٣٣م). انتهى العصر العباسي الأول، حيث أن الخليفة المعتصم الذي تولى الأمر بعده قد نقل عاصمة الخلافة إلى سرّ من رأى / سامرا، وقد أدخل بشكل واسع وقوي عنصرا جديدا كان له خطورته وقوته في مجتمع الخلافة على مدى الأيام ألا وهو العنصر التركي، إلى جانب العنصرين الأولين العربي والفارسي. وبهذا يؤرخ العديدين انتهاء العصر العباسي الأول.

صالح خلف الحمارنه
الجامعة الأردنية-عمان

المصادر

المصادر حسب التسلسل الزمني للمؤلفين

خليفة بن خياط

١٩٦٧ **تاريخ بن خياط**. تحقيق أكرم العمري، النجف .

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم

١٩٠٤ **الامامة والسياسة** (منسوب إليه). القاهرة.

البلاذري، احمد بن يحي

انساب الأشراف – القسم الثالث.

١٩٧٨ تحقيق عبدالعزيز الدوري. بيروت .

اليعقوبي

١٩٧٠ **تاريخ اليعقوبي**. بيروت : دار صادر.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير

١٩٨٨ **تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك**. بيروت : دار الكتب العلمية.

الاشعري، علي اسماعيل

١٩٦٧ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد تاريخ الموصل. تحقيق علي حبيبة القاهرة .

الاصفهاني، ابو الفرج علي

مقاتل الطالبيين. شرح وتحقيق السيد احمد صقر. بيروت: دار المعرفة.

كتاب الاغاني. تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي. مصر: مطبعة التقدم.

المسعودي، علي بن الحسين

١٩٦٦ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة .

الهمذاني، ابو محمد الحسن بن احمد

١٩٧٤ **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الاكوع. بيروت ١٣٧٣.

الأكليل. تحقيق القاضي محمد علي الأكوع. الرياض .

المقدسي-البشاري، ابو عبدالله محمد بن احمد

١٩٥٧ **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**. السلسلة

الجغرافية. بيروت: دار احياء التراث.
عماره اليمني، نجم الدين ابي محمد
تاريخ اليمن. نشره حسن سليمان محمود. القاهرة .
ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله
١٩٧٩ **معجم البلدان**. بيروت : دار احياء التراث العربي.
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين
١٩٦٩-٧٢ **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**. تحقيق احسان عباس. بيروت .
ابن الطقطقا، محمد بن علي
١٩٩٥ **الفخري في الآداب-السلطانيه**. بيروت : دار صادر.
الخزرجي، ابو الحسن موفق الدين
١٩٧٦ **اليمن في عهد الولاة**، مأخوذ من مخطوط كتاب الخزرجي الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من ملوك الاسلام. تحقيق راضي دغفوس. تونس .
القلقشندي، احمد بن علي
١٩٦٤ **صبح الاعشى في صناعة الانشا** . تحقيق عبدالستار فراج. الكويت .
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن
١٩٥٢ **تاريخ الخلفاء**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة : مطبعة السعادة.

المراجع

أمين، احمد
١٩٣٣ **ظهر الإسلام**. القاهرة.
بيضاني، ايمان احمد
٢٠٠٣ الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في اليمن. **مجلة اليمن** العدد١٧.
بروكلمان، كارل
تاريخ الأدب العربي، ج.٣ ترجمة عامر النجار.
حسن، ناجي
١٩٦٦ **ثورزيد بن علي**. بغداد.
الحضرمي، عبد الرحمن بن عبد الله
٢٠٠٠ **زبيد-مساجدها ومدارسها في التاريخ**. دمشق.
حلمي، احمد
١٩٥٩ **الخلافة والدولة في العصر العباسي**. القاهرة.
الحمارنه، صالح
١٩٨٢ معن بن زائدة الشيباني. **مجلة افكار** العدد ١. عمان.
٢٠٠٣ الحالة في حمص عشية سقوط الدولة الأموية. **مجلة البحث التاريخي** العدد ٧. سوريا: حمص.
الدوري، عبد العزيز
١٩٨١ الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الاول. ضمن الكتاب التذكاري للدكتور احسان عباس **دراسات عربية واسلامية**. بيروت.
١٩٨٨ العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية. بيروت.
زامباور، ادوار
١٩٥١-١٩٥٢ **معجم للأنساب والأسرات الحاكمة** ١-٢. ترجمة زكي محمد حسن وآخرون. القاهرة.
سيد، ايمن فؤاد
١٩٨٨ **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن**. بيروت.
١٩٧٤ **مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي**. القاهرة.
شكري، محمد سعيد
٢٠٠١ احداث الردّة في اليمن. **مجلة اليمن** عدد ١٧. جامعة عدن.
عبدالله، ماضي محمد
١٩٥٠ دولة اليمن الزيدية نشأتها- تطورها- علاقاتها. **المجلة التاريخية المصرية** عدد٣.
عطوان، حسين
١٩٨١ **الوليد بن يزيد**. بيروت.
العلي، صالح احمد
التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة.
عمر، فاروق
١٩٨٨ **الخلافة العباسية**. دار الشروق.
العميد، صابر مفيد
١٩٧٠ بناء مدينة زبيد في اليمن. **مجلة كلية الآداب**- جامعة بغداد العدد ١٣.
محمد بن صالح
١٩٧٨ دولة الخوارج في اليمن بنو مهدي في زبيد. **المجلة التاريخية المصرية** عدد ٢٥. القاهرة.
محمود، حسن سليمان
١٩٦٩ **تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي**. بغداد.
النجار، عامر
١٩٨٨ **الخوارج**. القاهرة.